



والدة الإله القديسة مريم في صلوات السواعي (الأجبية)

المقالة الأولى

د. جورج حبيب بباوي

٢٠١٣

مهداة إلى الأب متى المسكين في ذكرى نياحته

مقدمة

صلوات السواعي - تاريخ موجز جداً

من الثابت تاريخياً أن ترتيب صلوات السواعي يعود أصلاً إلى رهبنة القديس باخوم أب الشركة. وعندما نقول ترتيب، فهذا لا يعني أنها من وضع الأنبا باخوم؛ لأن صلوات السواعي سبقت الرهبنة الباخومية بما لا يقل عن ٤٠٠ سنة (راجع صلاة الساعة التاسعة في أعمال ٣: ١ وصلاة الساعة السادسة أع ١٠: ٩ وسوف نعود إلى الجانب التاريخي في مناسبة أخرى)، ولكن نمو النظام الرهباني - الشركة بالذات - كما نراه في وثائق عديدة هو الذي رتب صلوات السواعي.

العنصرة، أو صلاة الساعة الثالثة

قبل أن ندرس ما نذكره عن والدة الإله في صلاة الساعة الثالثة، تفرض علينا المناسبة أن نذكر القارئ بأن الساعة الثالثة خاصة:

* بحلول الروح القدس على القديسة مريم والآباء الرسل؛ لأن هؤلاء بعد صعود رب المجد كانوا يواظبون على الصلاة بنفس واحدة مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته (أع ١: ١٤).

* كانت هذه هي بداية الكنيسة، وبداية قبول وعد الرب يسوع بمجيء البارقليط (يوحنا ١٤: ٢٦)، ولذلك نزل الروح في تواضع الله حسب التواضع المعلن في تجسد الكلمة (فيلبي ٢: ٦)؛ لكي يعطي الجميع هبة الله الآب في ابنه (راجع إنجيل الساعة الثالثة يوحنا ١٤: ٢٦ - ١٥: ١ - ٤).

حسب الإنجيل، الوعد -وحسب ما حدث في التاريخ- هو حلول الروح القدس؛ ولذلك تؤكد الصلاة في القطعة الأولى والثانية مجيء روح الرب - الروح القدس على التلاميذ، وتطلب بقاء هذه النعمة الإلهية لنا: "جدده في احشائنا - روحك القدوس لا تنزعه مني"؛ لكي يشترك الكل في ذكصولوجية: المجد للآب والابن والروح القدس.

ونحن في الطلبة نطلب روح النبوة **εμπροσθητικον** وليس روح النبوة؛ لأن الاعتراف بـ"الروح القدس الرب المحيي الناطق في الأنبياء" -حسب قانون الايمان- ليس اعترافاً بالماضي، أي بعمل روح الرب في انبياء العهد القديم، بل هو روح النبوة الذي أعطى أنبياءً أيضاً في تاريخ الكنيسة، مثل يوحنا الأسيوطي الذي كان يُلقَّب باسم نبي مصر، وقبله الأنبا صموئيل المعترف، وغيرهما من الذين اخذوا روح النبوة "في التعليم" مثل أنثاسيوس العظيم وكيرلس الكبير.

الكرمة الحقيقية

الأيقونة الليتورجية وأساسها في أعمال ١ : ١٤

"يا والدة الإله أنت هي الكرمة الحقيقية". هكذا صرخ الذين سقطوا تحت سيطرة وإيحاء تعليم الشيع الذي يدّعي أنه تعليم كتابي، وقالوا إن هذا اعتداءً على الرب الذي قال إنه هو الكرمة الحقيقية. كان العمى قد أصاب هؤلاء؛ لأن الإنجيل الذي يُقرأ في صلاة الساعة الثالثة هو إنجيل الكرمة (يوحنا ١٥ : ١ الذي نكمل به قراءة ما ورد في يوحنا ١٤ : ٢٦).

١ - الكرمة هي شعب الله:

"كِرْمَةٌ مِنْ مِصْرَ نَقَلْتُ. طَرَدْتُ أُمَّماً وَعَرَسْتَهَا. هَيَّأْتُ قُدَّامَهَا فَأَصَلْتُ أُصُولَهَا فَمَلَأْتُ الْأَرْضَ" (مزمور ٨٠ : ٨). والشعب هو الذي وُعدَ بالبركة في ابراهيم "وَأَكْثُرُ نَسْلِكَ تَكْثِيرًا كُنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ"، وهو ليس بني إسرائيل؛ لأن الله يقول: "الْأَيُّ أَجْعَلُكَ أَبَا جُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَّمِ" (تك ١٧ : ٥)، ولم يعد الوعد لبني إسرائيل، بل للبشرية. ولذلك جاءت ثمرة الكرمة، بصورة نبوية كاملة في (أع ١ : ١٤)، ولذلك يطلب المزمور من إله الجنود أن "اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَأَنْظُرْ وَتَعَهَّدْ هَذِهِ الْكِرْمَةَ" (مزمور ٨٠ : ١٢).

٢- الكرمة هي المرأة في بيت البركة:

"أُمَّرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ" (مزمو ١٢٨ : ٣)؛ لأن الشعب كله، بل الجنس البشري كله يمكن أن يمثله شخص واحد، هو آدم الذي فيه مات الجميع (١ كو ١٥ : ٢٢)، وهو المسيح آدم الثاني الذي فيه سوف ينال الجميع الحياة.

٣- الواحد والجماعة:

الواحد الذي يحتوي الجماعة، ولذلك كان الوعد لإبراهيم أن يكون أباً لجمهور من الأمم (تك ١٧ : ٢٥) أنه عندما حبلت رفقة، سَمِعَتْ صوت الرب نفسه يقول لها: "فِي بَطْنِكَ أُمَّتَانِ وَمِنْ أَحْشَائِكَ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: ... فَلَمَّا كَمَلَتْ أَيَّامُهَا لَتَلِدَ إِذَا فِي بَطْنِهَا تَوْأَمَانِ" (تك ٢٥ : ٢٣ - ٢٤).

والواحد مثل آدم الأول، وآدم الثاني ليس أيهما فرداً (راجع دراستنا الواحد والجماعة - مذكرات القسم المسائي - القاهرة).

٤- الواحد هو الجسد الواحد، وهو أصلاً الكرمة الواحدة

الواحد هو الجسد الواحد، وهو أصلاً الكرمة الواحدة، حسب الاستعارة في مزمو ٨٠ : ٨، وهي الفرد والجماعة معاً حسب نفس الاستعارة في (حزقيال ١٩ : ١٠): "أُمَّكَ كَكْرَمَةٍ، مِثْلِكَ غُرِسَتْ عَلَى الْمِيَاهِ". لكن لاحظ أن الجسد الواحد هو يسوع نفسه، هو جسد يسوع، أي الكنيسة (١ كو ١٢ : ١٣).

٥- الكرمة القديمة هي الشعب الذي قتل الوارث

ولذلك جاء الرب وأخذ الكرمة، وسلم هذه الكرمة إلى كرامين (مت ٢١ : ٤١ - مرقس ١٢ : ٩).

العذراء هي الكرمة الحقيقية:

لأن الكرمة القديمة لم يعد لها دور في العهد الجديد، والعذراء هي الكرمة؛ لأنها "حملت عنقود الحياة"، أي الرب يسوع.

الأيقونة الليتورجية هي أيقونة العنصرة، الكنيسة المجتمعة في حضرة الثالوث، ويحل عليها روح الرب - الروح القدس مع الكل، مع الرسل والقديسة مريم التي "ولدت الله الكلمة"، فصارت الكرمة التي اثمرت ومألت الأرض حسب نبوة المزمور (٨٢).

وإذا شئنا أن نرصد ما غاب عن المهاجرين؛ لوجدنا ثلاثة عناصر أساسية.

أولاً: انفصال الكنيسة الواحدة، بينما هي جسد المسيح الواحد الذي "يملاً السماء والأرض"^(١).

ثانياً: إن ولادة الرب من القديسة مريم هي الولادة الروحية التي تمت بالروح القدس، وهي أيقونة المعمودية، أي أيقونة الميلاد الفوقاني، لا أيقونة الميلاد البيولوجي القابع في عقول المعترضين. ولذلك عندما نقول: "نُعْظِّمُك يا أم النور الحقيقي" في مقدمة قانون الايمان التي وُضعت بواسطة القديس كيرلس الكبير، فإننا نحن أبناء النور - أبناء الله - ولنا أمٌ واحدة اثمرت تجسد ابن الله الكلمة الرب يسوع المسيح.

ثالثاً: وهي مناسبة الدخول في شركة العنصرة، ذات شركة الكرمة حاملة عنقود الحياة .. "نسألك أيتها الممتلئة نعمة مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا"؛ .. لكي ننال ذات قوة الخلاص المستعلنة في حلول روح الآب، لأننا في كل يوم أمام العنصرة أمام ذات ينبوع الحياة.

(١) أثار هذا التعبير عواصف ضد القمص متى المسكين؛ لأن وجود القديسين في السماء وعلى الأرض وهم أعضاء جسد المسيح الواحد حقيقة غائبة من وجدان الذين أثاروا العاصفة.

المسيح رب المجد وأمه القديسة مريم

سؤال غريب: هل يجوز لنا أن نستخدم كلمات وألقاب عن رب المجد للقديسة مريم؟ والجواب الحكيم الذي يعرف التدبير يقول: نعم حسب التدبير؛ لأنه حسب التدبير:

١- الشركة الواحدة بين الرب ومريم البتول هي شركة مصدرها التجسد نفسه. لقد تجسد الكلمة، فصارت مريم الأم التي تشهد بحقيقة التجسد، والتي صارت الأم روحياً لكل المؤمنين.

٢- لقد وُصِفَ الرب يسوع بأنه "البكر بين أخوة كثيرين"، وقد تردد اسم الأخوة في العهد الجديد عدة مرات .. على مستوى القرابة الجسدانية، وعلى مستوى القرابة الروحية .. يسوع يدعو التلاميذ "إخوته" (يوحنا ٢: ١٧)، ونحن جميعاً أخوة يسوع، بل يقول رسول الرب في العبرانيين "لأنَّ الْمُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي (لا يخجل) أَنْ يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: "أَخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ". (عب ٢: ١١-١٢).

الأخوة الروحية والأخوة الروحية رُفِعَت من المستوى العرقي *Ethnic* والبيولوجي إلى المستوى الإلهي، فيسوع هو ليس بكرًا فقط، بل هو أيضاً الأب "أبوكم واحد وهو المسيح"؛ لأن الأب هنا ليس أقتوم الأب، بل هو المعلم والمصدر الحقيقي للحياة الجديدة، حياة التجديد (لوقا ١٩: ٢٨)؛ ولذلك نحن أمام العنصرة، نطلب ذات الروح وذات المواهب لكي ننال ذات البقاء في الكرمة الحقيقية، وهي ليست كرمة إبراهيم القديمة، بل كرمة إبراهيم الحقيقية. ومن هنا جاءت العبارة "الكرمة الحقيقية" التي أعطت ليس الولادة البيولوجية التي تؤدي إلى الموت، بل الولادة التي تؤدي إلى الحياة الجديدة.

وعبارة "الكرمة الحقيقية" ليست أرثوذكسية فقط، بل هي تحمل "زخم" ما ورد في النبوة، وهي هنا انتقال كلمة الكرمة من العرق اليهودي إلى الولادة الروحانية التي

تعطى في كرم يسوع الأغصان الجديدة ليس (حسب الجسد)، بل حسب الروح.

تطابق الرب مع القديسة مريم

نحن سوف نصير مثله، أي مثل الرب (١ يوحنا ٣ : ٢)، لنا ذات مجد ناسوته (فيلبي ٣ : ٢١) لأنه ذات مجد إلهيته (يوحنا ١٧ : ٢٢).

بل نحن سوف نجلس معه على ذات عرش الآب، كما جلس هو (رؤ ٣ : ٢١) ومعه نحن وارثون لكل شيء ورثه هو.

عندما يغيب مجد الإنسان في يسوع؛ تظهر الاعتراضات على القديسة مريم؛ لأن ما تم في انسانية يسوع نقل إلينا.

هي تحمل عنقود الحياة، وهو عنقود بمعنى أنه ليس من حبة عنب واحدة، بل من عدة حبات. هي (أي العذراء) أثمرت ذلك العنقود لكي يصبح هو "البكر" والمتقدم علينا في كل شيء (كولوسي ١ : ١٨)، والذي سوف نشاركه مجده الإلهي (يوحنا ١٧ : ٢٢).

هكذا نقل المسيح الرب الكرم من مصر إلى بيت لحم، وإلى عليية صهيون لكي تنال الأغصان حياة الروح القدس؛ لأن "المُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعُهُمْ مِنْ وَاحِدٍ" حسب تعبير العبرانيين.

لقد صارت والدة الإله أيقونة الميلاد الجديد – والذي اعترض على أمومة مريم للكنيسة كان يجب أن يبقى في صف الموعوظين، لا أن يصبح أسقفاً.

* يا كرمة الرب يسوع أنت حقيقية؛ لأنك حقاً ولدتِ الربَّ المتجسد.

* يا كرمة الحق نفسه؛ لأن منك وُلِدَ الحق، وتجسَّد الحق يعلو على فكر الذين انتفخوا بالمعرفة وسقطوا من المحبة التي أعطت حتى عرش اللاهوت.

* يا كرمة الحياة يا حاملة عنب الحياة، وهو عنقود واحد جمع حوله حبات
العنب، للحياة من ذات عصارة الحياة التي قامت من الموت والفساد.

أنتِ هي باب السماء

الباب - حسب استعمال العهد القديم نفسه - كلمة وردت حوالي ٢٥٠ مرة، وهي خاصة بالباب كما نعرفه في البيوت وفي خيمة الاجتماع.

وحتى في دفن الرب يسوع نفسه يذكر البشير "أُغْلِقِ باب القبر" (متى ٢٧: ٦٠). ولكن "الباب" هو اسم استعاري يدل على تطور وانفتاح مجال علاقة جديدة؛ لأن رسول الرب يقول: "وَلَكِنِّي أَمْكُثُ فِي أَفْسُسَ إِلَى يَوْمِ الْحَمْسِينَ. لِأَنَّهُ قَدْ انْفَتَحَ لِي بَابٌ عَظِيمٌ فَعَالَ وَيُوجَدُ مُعَانِدُونَ كَثِيرُونَ" (١ كو ١٦: ٨ - ٩)، بل يقول إنه في ترواس عندما جاء لأجل الإنجيل "انْفَتَحَ لِي بَابٌ فِي الرَّبِّ" (٢ كو ٢: ١٢)، بل يعتبر رسول المسيح أن فرصة الوعظ والتعليم هي انفتاح "بَابِ لِكَلَامِ، لِنَتَكَلَّمَ بِسِرِّ الْمَسِيحِ" (كو ٢: ٣ - ٤)، بل أن قرب مجيء يوم الدينونة يصفه رسول المسيح يعقوب "هُوَذَا الدَّيَّانُ وَقِفْتُ قُدَّامَ الْبَابِ" (يعقوب ٥: ٩).

وعندما ينادي رب المجد يسوع النفس في شخص أسقف فيلادلفيا "هَمَّنَدًا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ" (رؤ ٣: ٨) بل في نداء المحبة يخاطب اسقف اللاذقية (اللاودكيين) "هَمَّنَدًا وَقِفْتُ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رو ٣: ٢٠).

لكن المهجوم على الكنيسة أم الشهداء تخفي تحت قناع الدفاع عن مكانة المسيح؛ لأن المسيح هو "باب الخراف" (يوحنا ١٠: ١ - ٩)، حيث وردت كلمة الباب

حسب الأصل اليوناني ٤ مرات، ولذلك يقول أحد المعاندين إن الإدعاء بأن العذراء هي "باب السماء" هو هجوم على مكانة ومقام الرب يسوع .. هكذا قُطِعَت الكلمات من سياق الصلاة: "إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس (هيكل الثالوث) نحن مثال أو حسب $\epsilon\upsilon\sigma\tau\eta\tau\alpha$ القيام في السماء"، أي أننا مثل السمايين، أي الرتب الملائكية الذين - بالمصالحة- صاروا مع يسوع وفي يسوع.

وهنا يلزمنا أن نذكر أن السماء هي أحد أسماء الله حسب عبارة الرب يسوع نفسه الذي يقول لنا في المثل أن الابن الضال يقول "أخطأت إلى السماء (الله) وقدامك (لوقا ١٥ : ١٨). وملكوت السموات هو ملكوت الله، ولذلك "أبانا الذي في السموات"، أي أبانا الذي هو الله.

العذراء هي باب السماء؛ لأنها ولدت كلمة الله، أي هي الباب الذي دخل منه الابن التاريخ والحياة الانسانية بتجسده، ولذلك يقول رسول الرب إن المواطن المسيحي له مواطنة في السماء، وهنا كِبوة ترجمة فان ديك، موجعة؛ لأن الرسول بولس يقول إن *our commonwealth* (رعويتنا - مواطننا) في السماء، وليس "سيرتنا في السماء" حسب هذه الترجمة العرجانة.

نحن في السماء بسبب وحدة السماء والأرض (أفسس ١ : ١٠) تحت رأسٍ واحد (أفسس ١ : ١٠)؛ لأن رجاء حياتنا هو في السموات (كولوسي ١ : ٥)، بل في جرأة المحبة الإلهية المعلنة في يسوع رب المحبة يقول رسول المسيح:

"أقامنا معه"

أجلسنا معه في السماويات

في المسيح يسوع" (أفسس ٢ : ٦).

فكيف صارت العذراء "باب السماء" لأنها ولدت الله الكلمة، وهي حسب

النبوة في (حزقيال ٤٤ : ١ - ٢) عن ولادة رب الجنود: "هَذَا الْبَابُ يُكُونُ مُعْلَقًا، لَا يُفْتَحُ وَلَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ دَخَلَ مِنْهُ فَيَكُونُ مُعْلَقًا"، هكذا انفتح باب الألوهة بالتحسد.

فهل نقلت الصلاة استعمال كلمة "باب" من المسيح إلى العذراء للاعتداء على المسيح؟ عيب أن لا يتذكر هؤلاء أن الكلمة تُستعمل بشكل مجازي، وأن الرب نفسه رغم أنه يقول إنه "هو الباب"، وإنه "باب الخراف"، إلا أن باب الكلام - باب الشهادة، هو ما يطلبه رسول المسيح كما سبق وذكرنا.

* "افتحي لنا باب الرحمة".

* اشركينا في سر تجسد الابن؛ لكي ندخل من باب هذا السر، ونرى تجسد الله؛ لأنه "الباب الفعال" حسب عبارة رسول المسيح لكي نستنير بنور الرب يسوع المتجسد.

* ليفتح لنا الرب باب المعرفة، باب المشارق، باب القلب (رؤ ٣ : ٢٠) لكي ندخل سر تجسد الرب.

* افتحي لنا باب رحمة يسوع بالصلاة؛ لكي نفهم التغيير الكامل الذي جاء به تجسد الرب.

* افتحي لنا باب الرحمة؛ لكي نتبع الرب في زمان التجديد (لوقا ١٩ : ٢٨)، ونفهم أن رحمة وصلاح الثالوث هي سبب إرسال الابن وانسكاب الروح القدس.

* يا والدة الإله ردي كل مظلوم إلى أحضان الكنيسة، وتشفعي في مصر وكنيسة مصر التي أعطت لك وللابن الوحيد المأوى من اضطهاد هيروودوس.

مبارك شعب مصر؛ لأنه شعب الرب المدعو لأن يدخل من باب الرحمة، باب السماء باب المتجسد يسوع المسيح.